الفصل الرابع
غَزْوَة السّوِيقِ[1]
الأحد ٥ ذو الحجة ٢هـ[2] - ٢٨ مايو ٦٢٤ م

المبحث الأول
ملخص الغزوة

خرج أبو سفيان في مائتي راكب ، وسار إلى المدينة ونزل على سَلاَّم بن مِشْكَم سيد بني النضير، فَقَرَاه وسقاه الخمر، ثم خرج أبو سفيان مع جيشه، فبعث مفرزة منهم، فأغارت على ناحية من المدينة، فأفسدو وأحرقوا هناك أصْوَارًا من النخل، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما، وفروا راجعين إلى مكة .

وبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فسارع لمطاردة المعتدين، ولكنهم فروا[3]

المبحث الثاني
آداب الحروب

المطلب الأول : لا يجوز للحليف استضافة الأعداء على أرض الإسلام :

أولاً : النموذج الإيجابي:

لَمّا رَجَعَ فَلّ[4] الْمُشْرِكِينَ إلَى مَكّةَ مَوْتُورِينَ مَحْزُونِينَ من بدر؛ نَذَرَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْ لَا يَمَسّ رَأْسَهُ مَاءٌ، ولا يغتسل من جنابة، وحَرّمَ الدّهْنَ –وهو الطيب – على نفسه[5]، حَتّى يَغْزُوَ

---

١ وهي غزوة قَرْقَرَةَ الْكُدْرِعند ابن كثير في السيرة النبوية ٢ / ٥٤٠، وعند الواقدي ١٨٣ والصالحي ١/ ١٥ : أن غزوة بني سليم يقال لها قرقرة الكدر.

٢ ابن سعد ٢ / ٣٠

٣ انظر: الواقدي ١٨٢، وابن هشام ٣/ ٤٧، وابن سعد ٢ / ١: ٢٠، والطبري ٢/ ٢٩٩، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/ ١٤٧، وابن سيد الناس ١/ ٣٤٤، والمقريزي ١٠٦، وابن حزم: جوامع السيرة ١ / ١٥٢، الواقدي ١ / ١٨١، الحلبي ٢ / ص٣٧٨، وابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٥٤٠

٤ الجيش المنهزم

٥ الواقدي ١ / ١٨١

مُحَمّدًا ﷺ فَخَرَجَ فِي مِئَتَيْ رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، لِيَبَرّ يَمِينَهُ فَسَلَكَ النّجْدِيّة١ ، حَتّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَنَاة٢ إلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَيْب ، مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمّ خَرَجَ مِنْ اللّيْلِ حَتّى أَتَى بَنِي النّضِيرِ تَحْتَ اللّيْلِ فَأَتَى حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ٣ – أحد زعماء اليهود–، فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَهُ وَخَافَهُ٤، فلا يجوز له كقائد فصيل من فصائل الدولة أن يستقبل على أرض المدينة عدو من الأعداء، فذلك محض خيانة، فَانْصَرَفَ أبو سفيان عَنْهُ..

وهذا صنيع جيد من حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ .

ثانيًا: النموذج السلبي :

لما رفض حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ استضافة قائد جيش المشركين، ذهب أبو سفيان إلَى سَلاّم بْنِ مِشْكَم – وَكَانَ سَيّدَ بَنِي النّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ٥ – فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَرّاهُ وَسَقَاهُ، وقام بدور الجاسوس الخائن لوطنه،وكشف له عن أسرار المسلمين، وبحث معه إحدى الطرق لإيقاع الأذى بالدولة، ولم تكن المخابرات الإسلامية غافلة عن ذلك ..

المطلب الثاني : تجريم قتل المدنيين وإفساد المزارع

لما خَرَجَ أبو سفيان فِي عَقِبِ لَيْلَتِهِ حَتّى أَتَى أَصْحَابَهُ فَبَعَثَ مفرزة منهم إلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَتَوْا نَاحِيَةً يُقَالُ لَهَا : الْعَرِيضُ ، – وادٍ بالمدينة في طرف حرة واقم– فقتل رجلين – أحدهما معبد بن عمرو الأنصاري ٦ ، والثاني : أجيره كان يعمل له في زرعه– وأحرق نخلاً، وَحَرّقَ بَيْتَيْنِ بِالْعُرَيْضِ، وتبنًا، وفر عائدًا إلى مكة٧ .

فلما قام الجيش الوثني بهذه القرصنة – غير الأخلاقية – بغتة على حدود المدينة، وأحرق ونهب وقتل.. نَدَبَ رَسُولُ اللهِّ – ﷺ – أَصْحَابَهُ – فورًا –، وَخَرَجَ في مائتين من

---

١ منسوبة إلى نجد، وهو ما ارتفع من الارض.

٢ بفتح القاف وتخفيف النون وفي آخره تاء تأنيث – وهو واد من أودية المدينة.

٣ وهو أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها

٤ ابن هشام ٢ / ٤٤

٥ يعني بالكنز هنا المال الذي كانوا يجمعونه لنوائبهم، وما يعرض لهم. فهو المسئول المالي لهذا الفصيل من اليهود

٦ الصالحي٤ / ١٧٤، الحلبي ٢ / ٣٧٨

٧ ابن سعد : ٢ / ٣٠ ، السهيلي ٣ / ٢٢٠، ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ص ٥٤١، وابن هشام ٢ / ٤٥، الواقدي ١ / ١٨١

المهاجرين والأنصار – يوم الأحد الخامس من ذي الحجة١ – فِي طَلَبِهِمْ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ بَشِيرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ – وَهُوَ أَبُو لُبَابَةَ٢ – ، حَتّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ ، ثُمّ انْصَرَفَ رَاجِعًا ، فَقَدْ هرب أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ٣..

فقد أحس المشركون بالطلب فجدوا في الهرب، والمسلمون يقطعون الصحراء خلفهم راغبين في اللحاق بهم، فلما أحس أَبُو سُفْيَانَ بالخطر أخذ يتخفف من الأزواد التي يحملها حتى تمكن من النجاة٤.

وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرَيْنِ .

ووجد الجيش الإسلامي أزوادًا كثيرة قد ألقاها المشركون و طَرَحُوهَا فِي الْحَرْثِ، وعامتها جرب فيها سويق٥، فأخذها المسلمون، فسميت غزوة السويق٦.

وفي هذا الموقف دلالة على يقظة القائد الإسلامي وتعقبه لأي محاولة نهب أو إفساد من قبل العدو في أرض الإسلام..

ورد فعل النبي ﷺ بملاحقة ميلشيات العدو دلالة على تجريم أسلوب النهب والسلب والتعدي على المدنين والزراع ..

وهذا الصنيع من رسول الله ﷺ يوافق ما تنص عليه الاتفاقات الحديثة في تجريم التعدي على المدنيين أو العسكريين الذين ألقوا السلاح. .

ولقد نصت المادة (٣) من اتفاقية جنيف الأولى لتحسين حال الجرحى والمرضى بالقوات المسلحة في الميدان المؤرخة في ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩ .. أن " الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز

---

١ الصالحي ٤ / ١٧٤

٢ مات أبو لبابة في خلافة علي رضي الله عنهما

٣ ابن هشام ٢ / ٤٤

٤ محمد الغزالي ١٨٨

٥ قمح أو شعير تحمص ثم تطحن باللبن والعسل والسمن.يقلى ثم يطحن فيتزود ويستف تارة بما يثرى به أو بسمن أو بعسل وسمن. (الصالحي،٤ / ١٧٤)

٦ ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٥٤١

ضار يقوم على العنصر أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس، أو المولد أو الثروة أو أي معيار مماثل آخر."١ .

المطلب الثالث : حرص الجندي على ثواب الله :

لما فشل الجيش الإسلامي في القبض على المجرمين، بعد أن استمر رسول الله ﷺ في مطاردتهم وقد غاب عن المدينة خمسة أيام٢ . خشي الأبطال أن يحرموا ثواب الله، لفشل هذه المناوشة ، فَقَالَوا -حَيْنَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِّ، أَتَطْمَعُ لَنَا أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً؟ .. قَالَ : " نَعَمْ "٣ .

وفي ذلك درس في استحضار ثواب الله على القليل والكثير في أمر الجهاد، والحرص على ثواب الله في كل أحوال القتال، في النصر والهزيمة، أو في نجاح المهمة أو فشلها .

* * *

١ على الموقع الرسمي للجنة الدولية للصليب الأحمر www.icrc.org

٢ ابن سيد الناس ١ / ٣٩٠، الحلبي ٢ / ٣٧٨

٣ ابن سيد الناس ١ / ٣٩٠

obeikandl.com